

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٧)

# مع مطلع سورة البقرة وما تضمنته كلمة

## الغيب

المعروف بالله

لؤلؤنا

مفتي الشيوخ / ماهر اسماعيل جاهين

تمت بحمد الله ورضي الله عنه

بجاءه من بلاد و المسلمين خير الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

### أخي الموحّد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته • ومغفرته ورضوانه • أسأل  
الله لي ولأخي المؤمن ولعامّة المؤمنين وخاصّتهم التوفيق  
والسداد بمنه وجوده وكرمه ، إنه نعم المولي ونعم النصير •

### أخي المؤمن

بين يدي أخي الكريم درس من الدروس الإيمانية التي كان يجود  
بها الحق علي يدي مولانا العارف بالله فضيلة الشيخ / ماهر  
إسماعيل جاهين - رحمه الله ورضي عنه ، وجزاه عن الإسلام  
والمسلمين خير الجزاء •

وإذا قلبت لأخي إن تاريخ هذه الدروس يرجع إلى السبعينات  
ولكنها لم تنشر إلى الآن سيعجب أخي ويقول أين كان  
المستمعون ؟ وهنا يرد العارفون بالله ويقولون ما قاله مولانا  
الراحل فضيلة الشيخ الشعراوي رضي الله عنه ورحمه وجزاه  
عن المسلمين خير الجزاء •

## لكل شئ ساعة ميلاد

وكانت ساعة الميلاد حينما تلقى أخ مؤمن (شريط الكاسيت) ليستمع إلي درس الشيخ فبهرتة عباراته ، ووصلت إلي قلبه كلماته . هذا ولقد صدق بعض العارفين حينما قال (إن لله عباداً كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم . فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قويت أضواؤها وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ؟ أنوار الكواكب تنكدر . وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها . فأنوار الكواكب تهدي إلي الدنيا ، وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلي الله .<sup>(١)</sup>

وهكذا وبعد أن إستمع أخي الطبيب إلي ما استمع نسي وقته فسهر ليله وإعتكف في حجرته ليسجل وينقل إلينا هذه الإشراقات الربانية كي يعم النفع وصدق سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حينما قال ( رب مبلغ أوعى من سامع ) . هدايني وهداك الله أخي سواء السبيل وجمعني وإياك علي صراطه المستقيم وفي جنة ( عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين )  
صدق الله العظيم .

<sup>(١)</sup> لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري .

## رجاء و اعتذار

### أخانا الكريم :

نرجو أن تفتح لنا قلبك قبل أن ( تستمع إلينا بأذنك )  
ظلت هذه التسجيلات زمناً غير قصير ، و خشينا أن تمتد إليها  
أيدينا فنخرج بها عن المراد حينما نلجأ إلى تغيير أو تبديل ،  
و كنا نحس بعبء المسؤولية لقصور أفهامنا ، وضعف إدراكنا ،  
حتى قيض وهياً الله لنا أخاً شجاعاً فبدأ بالنقل • ونحن بدورنا  
شد الله أزرنا ووجهنا إلى العمل ، فقلنا لعل ذلك إذن من  
السماء بنشر هذا العلم الجليل •

هذا : وبعد ممارستنا لهذا العمل نعتذر للسادة القراء و المحبين  
ممن ساق الله إليهم هذا الغيث و الرزق العظيم مما يلمسونه  
بين أيديهم •

نقدم هذا ونحن نعتذر عن كل تكرار ، أو استطراد ، أو ضعف  
للربط بين أطراف الحديث ، وتلك طبيعة الدروس حيث  
تختلف كثيراً عن المحاضرة ، لإختلاف مستويات السامعين ،  
وتفاوت مداركهم ، و كثرة الأسئلة المتعاقبة التي تدفع كل من  
يتصدي للدرس بإعادة معلومة أو تكرارها • ، بل وكانت

الأسئلة أحياناً تدفعه ( رضي الله عنه ورحمه ) إلى أن يخرج  
عن الموضوع ذاته وحرصاً منا علي المحافظة علي ( الهيكل  
العام للدرس ) آثرنا أن ندون الكثرة الكثيرة مما قاله الشيخ ولم  
نحذف إلا القليل - عملاً بنصيحة داعية إسلامي كبير كان  
قد إستمع إلى الشيخ وجلس معه . قال : لو كنت مكان من  
يتصدي لعمل من أعمال هذا الرجل الجليل الملهم . لما حذف  
كلمة واحدة مهما تكررت ، لما أري في كل كلمة من كلماته  
نوراً وإخلاصاً فمعدرة حيث تركنا الأمر لإخواننا نفعنا  
ونفعهم الله بما نسمع ونقرأ فنستخلص ويستخلصون معنا ما  
أفاض الله علي الشيخ ( رحمه الله ) من علم .  
وأملنا في هذا النشر أن ينفع الله به عباده المؤمنين ، فإن كان  
التوفيق فهو من الله وحده / وحده ، وحده . وإن كان غير  
ذلك نقول لأخي القارئ ( فاصفح الصفح الجميل ) .  
وما توفيقنا إلا بالله

## أمل ورجاء

نأمل بمشيئة الله حينما يوفق أخونا إلي تسلم نسخة  
من هذه الكتيبات ألا نقف بهذا العلم عند القراءة  
وكفي .

بل كل ما نأمله لنا ولإخواننا القراء جميعاً أن  
يتحول العلم إلي سلوك وممارسة حسب توفيق الله  
لنا .

كما نرجو أن تنقل هذه المفاهيم إلي إخواننا  
المؤمنين إما مشافهة ، أو بتبادل القراءة .  
**والله ولي التوفيق ،،،**

## مع مطلع سورة البقرة وما تضمنته كلمة ( الغيب )

### من المعاني التي يدور حولها الدرس

١- يقوم ديننا الحنيف ، و يرتكز على دعامين أساسيتين

هما :

١ ( توحيد الله سبحانه و تعالى ٢ ) الإيمان بالغيب

٢- الله سبحانه غيب ، و الجنة غيب ، و النار غيب ،

والبعث ، و الحساب غيب ( ما تضمنته كلمة "مالك

يوم الدين" )

٣- وراء كل شيء مشهود غائب، هذا الغائب هو مُوجِدُهُ،

فالصنعة تدل على صانعها، و هذا الكون المشهود

وراءه خالقه و هو الله . و يسمى هذا غيب التحقيق .

٤- غيب التصديق يتمثل في أخبار الآخرة ، فيجب على

المؤمن التصديق بهذا . و لذا كان الغيب غيبين

١- غيب التحقيق وهو المشاهد ، ٢- غيب التصديق

و هو ما امرنا أن نصدق به . و لذا كان الإيمان

شطين .

٥- ساق الله قصة الخليل سيدنا إبراهيم عليه السلام ليبين لعباده المؤمنين أن الحق سبحانه و تعالى يخلق ما يريد بدون أسباب •

٦- إذا آمن المؤمن بغيبي التحقيق و التصديق استحق أن يحصل على البشري الكبرى المثلة في قول الله في مطلع سورة البقرة ( **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ) استحق قول الله وشهادته ( **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ) •

٧- الذي ينقصنا نحن المؤمنين غيب التحقيق •

٨- لن يرفعَ الله سبحانه عَمَلٌ يقبل إلا إذا كان على منهج سيد الخلق ، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم •

مع موكب النور ، مع آيات الله البينات ، مع كلماته  
الواضحات مع ماء الحياة ، ونسمات الوجود . مع كتاب الله  
العزیز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . مع  
الكتاب المحفوظ ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) .  
مع مطلع السورة المباركة من كتاب ربنا الحكيم مع أول سورة  
البقرة ( آلم • ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ  
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ )

صدق الله العظيم

بدأ الشيخ ( رضي الله عنه ) الدرس بحمد الله والثناء عليه ،  
وبعد الصلاة على الحبيب المصطفى قال : نحن نعلم جميعاً أن  
أول سورة نزلت هي سورة العلق : ( اقْرَأْ ) ولنعلم جميعاً أن  
القرآن الكريم تجمعه كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله )  
ثم طرح سؤالاً : ما علاقة هذه الآيات التي في سورة اقرأ بقوله  
تعالى : ( الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ) ؟ قال لأن قول الله تعالى  
( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ) وقوله تعالى : ( الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِالْغَيْبِ ) يمثلان العقيدة : أي عقيدة التوحيد إذ هي مبينه  
على الأمرين معاً بمعنى أن الله خالق كل شيء هذا أمر

الأمر الثاني أن عماد ديننا وركيزته الثابتة ممثلة في قوله تعالى :  
(يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) لأنه سبحانه غيب ، الجنة غيب ، النار  
غيب ، الصراط غيب ، وملائكة الله الحفظة والكاتين غيب ،  
لأن الميزان غيب ، والبعث غيب ، والحشر غيب ، والحساب  
يوم النشور غيب . أي كل ما يتعلق بقوله سبحانه (مَلِكِ يَوْمِ  
الدِّينِ) ألم تكن قضية البعث هي القضية الفاصلة بين  
الإيمان والتوحيد ؟ ومن أجل هذا كانت أول صفه أتصف  
بها المتقون ، لإيمانهم الجازم بما أخبرنا به هذا الكتاب  
العظيم . ثم قال الشيخ : هذا كوب فنحن جميعاً نشهده .  
وكل ما وراء عالم الشهادة فهو غيب ، والغيب بالنسبة للكوب  
صانعه ، ومواده التي ركب منها : هذه الأشياء بالنسبة لكافة  
الناس عدا المتخصصين منهم غيب . فهذا الكوب يشهد على  
موجده . فإذا لم يكن عالم الشهادة فلن يوجد غيب حينئذ :  
ومن أجل أن نؤمن بهذه القضية يسمى **غيب التحقيق** : أراد  
الله منا أن نوقن أن كل موجود لا بد أن يكون وراءه من  
أوجده وهو الله سبحانه : إذا آمنّا بغيب التحقيق هذا فيكون  
معنى ذلك أننا آمنّا بجميع صفات الربوبية ، التي ترتب عليها

الخلق والإيجاد : إذا آمنت بهذا سترتقي بعد وسيوصلك  
الإيمان بغيب التحقيق إلى غيب التصديق ، لأن الإيمان ينقسم  
إلى نوعين :

أ - غيب التحقيق • ب - غيب التصديق •

غيب التحقيق كما قلنا أن نرى وراء كل شيء مشهود غائب  
هذا الغائب هو موجد ، ووراء كل صنعة صانع • هو صانعها  
أي أن هذا شيء محقق ثابت لا يقبل الجدل • فهي قضية  
منطقية •

أما غيب التصديق فمحلّه الآخرة • نحن هنا نؤمن بأن في  
الآخرة جنة ونارا : وعندما يمن الله علينا بالانتقال إلى دار  
النعم وهي الآخرة إن شاء الله نرى الجنة فيزداد تصديقنا بما  
كان غائبا عنا • ولذا سمي غيب تصديق لأن الذي أخبرنا  
به الله ورسوله ونستطيع أن نبين هذا بوضوح في قول الحق :  
( **وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ۝۝۝ الآية** ) المطلوب هنا  
معرفة صفاته سبحانه وأنه هو الذي خلق السماء وزينها  
بالمصابيح ونسمي هذا غيب التحقيق : كلنا يعلم أن وراء  
السماء الأولى سموات أخرى إيماننا بالسموات الست بعد ذلك

يسمى غيب تصديق ، لأنه مبني على التصديق بما بين الله فأخبر  
بذلك السيد المعصوم ، صلوات ربي وسلامه عليه .

ولذلك وصف الله الكفار بالجحود والنكران ليوم القيامة ،  
لأنهم لم يصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم بما أخبر عن  
ربه عز وجل : ( لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ • وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ  
اللَّوَامَةِ • أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ • بَلَى قَادِرِينَ عَلَى  
أَنْ نَسُوِيَ بَنَانَهُ • بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ • يَسْأَلُ أَيَّانَ  
يَوْمِ الْقِيَمَةِ ) فالحق سبحانه تولى الرد على هؤلاء المعاندين  
بقوله ( فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ • وَخَسَفَ الْقَمَرُ • وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
• يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرَجُ ) فنحن نفتقد غيب التحقيق  
• والله يقول ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَفَشَى • وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى • وَمَا خَلَقَ  
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى • إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ) في هذه الآيات ظاهرها أن  
الإسناد إلى الليل والنهار ، وفي قوله عز وجل ( خَلَقَ الذَّكَرَ  
وَالْأُنثَى ) وراء كل هذه الأشياء الله هو الفاعل حقيقة وهو  
الخالق كما بينت الآية الثانية في سورة الواقعة ( أَفَرَأَيْتُمْ مَا  
تُمْنُونَ • وَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ) : تقرر الآيات أن  
موجد هذه الأمور حقيقة هو الله سبحانه وتعالى : ولذلك لما

دعا الرسول عليه الصلاة والسلام قومه دعاهم إلى توحيد الله  
في أسمائه التسعة والتسعين اسماً : كما رسخ في عقيدتهم أن  
الخلق والإيجاد بيد الله وحده لا غيره ، لا شريك له هذا ما نص  
عليه قول الله سبحانه : ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ) كلمة خلق الأولى تشمل كل المخلوقات ،  
ولما كان للإنسان وضعه الذي كرمه الله به أعطاه ربه وصفا  
آخر حتى يختلف عن بقية الخلق لأهميته وعلو شأنه ، لأنه هو  
المكلف ، أما كل المخلوقات فلقد جاء التعبير موجزاً الذي  
خلق ) . وحين جاء الكلام على الإنسان بين بعض أطواره التي  
يمر بها • كي يعلم حينما يوجد على ظهر البسيطة أن الله  
تولاه ورعاه ، وعلى يدي مولاه تمت أطوار الخلق فيه والله  
الكريم لم يترك الإنسان بعد خلقة ، بل تولاه وسيظل يتولاه في  
دنياه وأخراه ، وأنظروا رحمكم الله بعد هذا العطاء والتكريم •  
ماذا كان من أمر هذا الإنسان العجيب ؟ ( كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ  
لَيْطَغْيَى ) ومعنى طغيان الإنسان أنه ينسى فضل ربه عليه  
ويجحد ما حباّه به خالقه • وإذا ما نزل به خير أضاف الخير  
إلى نفسه ، وظهر على مسرح الحياة مفاخرًا متباهياً • أما غيره

من المخلوقات فهي مسخرة بحكم خلقتها • ومعية الله سبحانه  
مع عباده لأنه الخالق • ومعيته مع الإنسان هي السيطرة عليه  
ولننظر الفرق بين مقاول ينشئ ورب يخلق • المقاول ينشئ ثم  
يترك ما أنشأه ليصنع غيره - لكن الله جل جلاله : يخلق ويرعى  
ويتولى • ومعية الله لعبده تتجلى فيما يفعله العبد لأن إرادة  
الله سبحانه وتعالى تنعكس على قلب العبد فيتحرك القلب  
استجابة لإرادة خالقة كي يحصل مراد الله • ( هذا ولقد قلنا  
في كتيب سابق أن إرادة العبد خاضعة لأمر الله وقضائه ) •  
ثم أستدل رحمه الله على التقاء الإرادتين بقوله سبحانه وتعالى :  
( **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ • فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ  
لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ** ) ثم قال الشيخ : ما علاقة النطق  
بالرزق • ؟ ولقد وضحنا إجابة هذا السؤال باستفاضة في  
كتيب سابق وحينما يريد الحق شيئاً يترله في قلب العبد ،  
ولهذا يقول الحديث الشريف ما معناه : **قلب العبد بين  
إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء** • ولذلك بحكم  
اتصال القلب بالسماء لا يمكن حصر هذه المعية ، ولا تكييفها  
، والقلب الذي نتكلم عنه • ليست القطعة من اللحم الموجودة

داخل التجويف الصدري • لكنه القلب المعنى بقوله تعالى :  
 ( أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ) متى ما أراد  
 الله بعلمه شيئاً تجلّى بمراده على هذا القلب الغيبي الموجود في  
 الإنسان وكان هذا العبد ممن ينطبق عليه قول الحق : ( إِنَّ  
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ) طريق  
 اتصال العبد بربه دائماً عن طريق القلب • وكلنا يعلم أن  
 الحيوان له قلب يُسَيِّرُ الجسد ، والإنسان له قلبه الذي يتعاون  
 مع الروح وحينما بين الله سير حركة الحياة قال عز وجل :  
 ( وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ) فالأرض لا تثبت إلا إذا استقبلت  
 الغيث من السماء ، فالغيث النازل من السماء يمثل إرادة الخالق  
 ، والأرض التي تستقبل الغيث من السماء تمثل إرادة الإنسان ،  
 فلو لم يلتق الغيث مع الأرض لا يمكن أن يكون هناك نبات •  
 وعندما ما تكون الأرض حجرية لا يتم الإنبات • هكذا قلب  
 المؤمن ، فالله يتجلّى على عبده بإصدار مراده وأمره إلى القلب  
 فيستجيب القلب تلقائياً لمراد الله • وضرب لهذا مثلاً يقرب  
 المراد فقال : أردت السلام على أحد أصحابك فستجد صورة  
 تحركك نحوه ومدى إقبالك على محبته وإخلاصك له تتضح

من الجوارح • ومعلوم أن الجوارح مرآة القلوب • ولأن القلب غيبي لا يستطيع أي مخلوق أن يوقن بصلة العبد بربه إلا عن طريق الجوارح • وخير دليل على هذا حديث سيدنا رسول الله عليه وسلم عندما وجد شخصاً يتحرك كثيراً في الصلاة • قال حديثه المشهور : ( **لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه** ) وليس بعد هذا الحديث من بيان •

ثم أراد الحق أن يعطينا بياناً حسياً فقال عز من قائل : ( **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ** ) قال الشيخ ما علاقة قصة سيدنا إبراهيم بهذه الآيات ؟ ثم أجاب فقال سقت هذه الآيات لتنبه بني الإنسان وتقول لهم : إذا كانت الحياة الدنيا تقوم على الأسباب فأمامكم قصة سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام حيث رزقه الله الإنجاب بعد أن انقطعت الأسباب ، والآيات تبين هذا وتقول : ( **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ • إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ • فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ • فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ • فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَمٍ عَلِيمٍ • فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ • قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** )

أي أن أمر الإنجاب من السماء ، وإذا كان الأمر من الله  
القادر فلا عجب . بعد هذا قال الشيخ ( رحمه الله ) إن عمر  
المرأة كزوجة صالحة للإنجاب ٣٠ عاماً ثلاثون عاماً أي من  
سن التكليف ١٥ سنة حتى تنقطع الدورة الشهرية عنها ثم  
عاد فعقب على القصة كي نأخذ منها العبر والعظات فقال  
عندما ألقى الأضياف السلام ( فَقَالُوا سَلَامًا ) ما شعور سيدنا  
إبراهيم عليه السلام مع انه لا يعرفهم ؟ ( قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ  
مُنْكَرُونَ ) . مع أنه لا يعرف حقيقتهم بادلهم بالتحية تحية  
مثلها أتبع بعد هذا . ما يوضح مدى حفاوة سيدنا إبراهيم  
بهم بتحركه خفيه ( فَرَاغَ ) وعبر الحق بقوله ( فَرَاغَ )  
التي تشعر بالذهاب لأداء الواجب في خفية ، حتى لا يكون  
هناك ما يشعر بالمن ثم قال : " إن طبيعة العرض فيه من - وكلمة  
قَرَبَهُ " أي كان عرضه للطعام مصحوباً بإغراء شديد بحيث  
يجوع الشبعان نتيجة عرضه وعندما وجد منهم صدوداً عن  
الطعام ، وخيم الصمت على المكان . هنا توجس سيدنا  
الخليل ، وأحس بأن الأمر أصبح غير عادي ، جاء بعد هذا  
السؤال التلقائي . ( قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ١٠٠٠ الآيات )

أُتي الشيخ بعد هذا بلمح جميل ، وتعقيب في الآيات بديع حيث قال : إن إخبار الزوجة هنا ( بعد أن أخبر سيدنا إبراهيم عليه السلام ) حتى تنهياً للإنجاب فلا يكون منها نفور عندما يقترب منها الزوج . ولا تعجب . أبعد هذه السنوات الطوال كيف يفكر الزوج في الإقبال عليها . ؟ إن ذلك أمر يبدو غريباً لكن الواقع الآن أن التقاء سيدنا الخليل — بها أصبح أمر تكليف لتضح قدرة الله الكبير المتعال في أنه يوجد الأشياء إذا أراد بلا أسباب وكلمة في ( صَرَّةٍ ) فيما سبق أي صحة : أي أنها صاحت دهشة مما سمعت ، ونكر الكلمة لتنوع الصيحات . وهذا معنى قول الحق في سورة العلق : ( عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ) أي علمه بقلم القدرة ، وقلم الإرادة ثم عرض هنا سؤالاً . ما أثر هذا كله على الإنسان . ؟ تولت الآية بعد هذا الإجابة عن ذلك : ( كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ) أن رَوَاهُ اسْتَفْنَى ) والطغيان هو محاولته أن ينسب كل شيء إلى نفسه ، جاحداً فضل ربه منكراً لصفاته .

إذا لم يعترف المسلم لربه بصفاته ، وتوحيده ، وكمال قدرته في الدنيا . بينت الآية بعدها أنه سيعترف بعظمة ربه وتوحيده

قهراً في الآخرة ( **إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ** ) وليعلم كل مؤمن أن  
 الله رقيب عليه في كل شيء ، وأن كل ما يحدث له فالله محدثه  
 وفاعله . والتوحيد المطلوب من المؤمن هو التوحيد الكامل لله  
 في صفاته . وهذا هو الإيمان المطلوب في مطلع سورة البقرة في  
 قول الله عز وجل : ( **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ) أي غيب  
 التحقيق الواجب عليهم أن يتحققوا به : ومعنى يقيمون  
 الصلاة : يؤدونها مستوفاة الشروط والأركان . وإذا كانت  
 الصلاة تقع هنا في عالم الشهادة فهي واقعة في عالم الغيب عند  
 مشرعا ليحكم لها أو عليها ، أي ليتقبلها أو يرفضها  
 والجزاء سيكون على قدر إقامتها في عالم الغيب ، لا في عالم  
 الشهادة . وكم من مؤمن جسده في الأرض غير أن روحه  
 تتجول تحت العرش ( **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ) أي أن الرزق  
 يجب ألا يحجبك عن الرزاق فضل : وحينئذ يحصل المطلوب  
 نتيجة التحقيق به في عالم الشهادة : ومعنى ( **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**  
**يُنْفِقُونَ** ) أي أنت قيم على هذا الرزق فعليك أيها المؤمن أن  
 توجهه إلى مواضعه ، فتنفق على نفسك ، ثم تصدق على  
 غيرك ، مع مشاهدة أنك مُستخلف ، ولست بما لك . هذا

الإيمان هو غيب التحقيق ( وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ )  
تتحقق بالإيمان وبالقرآن وبالكتاب المنزل على الرسل  
السابقين . ومعنى هذا أن تتحقق بهذه الأشياء في عالم  
الشهادة . وهذا هو غيب التحقيق . وأما قوله تعالى :  
( وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ) فهو غيب تصديق أي صدقوا بكل  
ما أخبروا به عن الآخرة . وهي ثمرة الأشياء السابقة .

ويؤخذ من هذا أن غيب التحقيق مدخل لغيب التصديق .  
أي أن المسلم إذا وصل إلى توحيد الله تحقيقاً وتصديقاً يستحق  
بعد ذلك أن يحصل على الشهادة وهي قول الحق : ( أُولَئِكَ  
عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) وعلى المؤمن أن  
يلبغى دائماً حوله وقوته ، ليلجأ إلى حول الله وقوته .  
ثم استطرد وقال : ( وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى .  
وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى  
وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ) أي أعطى الله صفاته يكون مصيره  
بعد هذا ( فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ) وقوله تعالى ( وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ  
وَاسْتَغْنَى ) أي بخل على الله . فلم يعترف بصفاته ، ولم ينسب  
الرزق إليه ( وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ) أي الآخرة فهو ممن لم يصدق  
بها ، فجزاؤه جهنم ( أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ )

( قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا )

وللعلم أقول : إن الذي ينقصنا هو غيب التحقيق بدليل قول الله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ • إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ) ثم سأل الشيخ قائلًا:

لو معك ضرير هل درجة النظر إلى الأجنبية تكون مراعاة عندك كما لو كان مبصرًا • ؟ أظن ذلك لن يكون •

حينما يستريح المؤمن النظر إلى أجنبية لا يكون متحققًا بالغيب (نعني بهذا لا يكون مصداقًا بالجزء • بل هو في حالته هذه

فاقد للمعية ) • ثم قص الشيخ قصة مشهورة وهي أن رجلاً اختلي بامرأة أجنبية فراودها عن نفسها فأظـهـرت موافقتها

بادئ ذي بدء • وكلما حاول الإقبال عليها قالت له انتظر حتي نـصـبح في الخلاء بعيدين عن أعين الرقباء • فاستمع إليها

ثم قال لها : ها أنذا الآن لم أر إلا الكواكب في السماء فردت عليه قائلة ( وأين مكوكب الكواكب يا فتى •• ؟ • ؟ • ؟ )

ومعني هذا أن الفتاة لم تغب عن شهود الحق •

ثم ساق الشيخ قصة السمان وقد وضحت في كتيب سابق فلا مجال لتكرارها •

حيث أنتهت بقول المرید : و الله ما ذهبت إلى أي مكان أذبح فيه سماني إلا ورأيت ( الله يراني ) ثم تناول موضوع الصلاة باعتبارها العبادة اليومية المتكررة فقال بصلاتنا هذه علي هذا الشكل نحن غير متحققين .

ثم صور الواقع الذي نحياه كمسلمين جميعاً فقال لو سألت مسلماً أين أنت ذاهب الآن ؟ أجابك بقوله ذاهب إلى الصلاة قلت أنت وفي أي مسجد ستصلي ؟ أجابك ثم قلت له وراء أي إمام ستصلي قال . . . ثم كان السؤال الأخير وهو الأساسي : هل ستصلي كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يصلي ؟ معني هذا أن الرسول عليه السلام لم يتذكره كأسوه حيث أسقط هذا الاعتبار من نفسه .

ثم قال الشيخ رضي الله عنه لو سألنا هذا المسلم . هل أنت متحقق ومؤمن بأنك ستقف بين يدي الله عز وجل كإيمانك بالإمام الذي ستصلي خلفه ؟ لو آمنت بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله لكان الرسول قدوة لك في أعمالك وسيصبح الله مشهوداً لك في جميع الأعمال . وهذا هو غيب التحقيق . إذاً فلا بد لنا أن نفكر من جديد كيف نتحقق بالغيب ؟

أي غيب الله في عالم الشهادة • لو تحققنا بغيب الله في عالم الشهادة لأصبح ذلك أمراً ميسوراً لنا •

ولكان الإيمان بغيب التصديق في استطاعتنا ، وفي قوله تعالى (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) فيها غيبان : غيب تحقيق ، وغيب تصديق : وهو أن نصدق بجزاء المنفقين في الآخرة وهذا معني قول الشيخ : لو آمنا بغيب التحقيق لكان الإيمان بغيب التصديق سهلاً ميسوراً و الخلاصة أن كل ما جاء في أول السورة من قوله تعالى ( وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ • وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ) كل هذا غيب تحقيق ما بعد هذا وهو قوله عز وجل (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ) يكون غيب تصديق • ولذلك استمر الرسول عليه الصلاة والسلام (١٣) ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى غيب التحقيق : أي توحيد الله في الخلق ، والإيجاد ، الإمداد وفي صفاته و أسمائه الحسني فهو السميع البصير ، الحكم • العدل • اللطيف • الخبير • الوهاب • الرزاق • الفتاح • العليم • القابض • الباسط : جل جلالك يا الله • المهيمن • جل جلالك يا الله • جل جلالك يا الله • وتقدسست أسماؤك يا الله •

( يا الله انفعنا بهذه العلوم الربانية : خلقنا بصفاتك يا الله  
افتح علينا بتجلياتك يا رحمن هب لنا عوناً علي أنفسنا .  
يا ودود ، قنا شر أنفسنا يا عليم ، لا تجعل ما نقرؤه يا رب  
حجة علينا . خذ بيدنا إلى الحق . يا من قلت في كتابك  
وقولك الحق ( **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** ) .

وهذا ما تضمنه قول الله عز وجل ( **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ  
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ) وقوله عليه الصلاة والسلام ما معناه ( **طَلُوا كَمَا  
رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي** ) كل هذا غيب تحقيق وقول الله سبحانه  
وتعالى في الآية بعد ( **لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** ) هذا  
غيب التصديق ثم قال مرة أخرى :

( **الذي ينقصنا هو غيب التحقيق** )

ثم سأل أحد المستمعين وقال من هذا نشعر بل ونتأكد من  
توضيحك يا مولانا أن كل مدخل للإيمان لابد أن يكون عن  
طريق الرسول عليه الصلاة والسلام . فقال الشيخ رضي الله  
عنه :

**لن يرفع عمل إلى الله عز وجل إلا وعليه طابع الإيمان بالله  
وبرسوله عليه السلام : ثم وضع هذا بمثال :**

( وأرجو والله أن نتأمل دقة الأمثلة كما سترون )  
لو أردت أن ترسل خطاباً إلى أحد • لو وضعت عليه عشرة  
قروش ورقية بدلاً عن الطابع أو خمسة جنيهات ورقية وهي  
أكثر من القيمة : هل تنفع هذه النقود ؟

لا شك أن الرسالة سترد • هكذا شأن العبادات والطاعات •  
ما لم نختتم بخاتم الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم تكن عن  
طريق شريعته ، وشريعته بالذات لا قيمة لأي شيء عن غير  
طريقها ، وهو مردود علي من فعله وقام به • وهذا معني  
**لا إله إلا الله محمد رسول الله** ، لأن التوحيد شقان : كما  
قلنا : توحيد الله معبوداً والإيمان بالرسول عليه الصلاة  
و السلام ( كما قلنا ونقول ) متبوعاً :

### **وكل عمل لا يرفع باسم العبودية مرفوض**

فلا يرفع عمل عبد ويقال هذا ، منوفي ، وهذا شرقي ، وهذا  
اسكندراي • كل هذه النوعيات مرفوضة لأنها للتعامل في  
الأرض ، ولا قيمة لها في السماء • انظروا إلى الحديث  
الشريف ( **ما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه** )  
اقرأوا معي بداية سورة الفاتحة في قوله تعالى : ( **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** )

ومعناها نخصك وحدك بالعبادة ووجود المعبود أولاً هو الأصل  
يقتضي وجود العابد والله المثل الأعلى وجود الأب سابق  
ومتقدم على وجود الأبن وأنظروا رحمكم الله إلى عظمة التعبير  
القرآني في قوله عز وجل : ( **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ) التي تفيد الخضوع  
والشهود ، فالمصلي يخاطب حاضراً لا غائباً في قوله ( **إِيَّاكَ** )  
لأن الكاف للمخاطب ، والهاء للغائب فأية دقة في التعبير  
بعد هذا ؟ وأية بلاغة تعلو هذه البلاغة ؟ ولا عجب : إنه  
القرآن الكريم الذي ( **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ  
خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ) .

أتى في الفاتحة أولاً بمقام الربوبية ثم ثنى ذلك بذكر مقام  
الألوهية ثم بعد ذلك ذكر العائد والثمرة التي تعود على  
المسلم ، لأن كل نفس بشرية متطلعة دائماً للجزاء فكان  
الجزاء طلب الهداية ممن بيده الهداية .

وقول الحق ( **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ) أي يوم الجزاء ومعنى هذا أنك  
تستعين على عبادة الله بالوعد والوعيد . وبتذكرهما دائماً  
حتى يكون ذلك دافعاً إلى أن تنهض لعبادة خالقك . ومعنى  
الاستعانة بالوعد أن المؤمن إذا فعل خيراً في الدنيا سيجد في

الآخرة جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، وسيحصل  
على كل ما تطلبه الأنفس ، وتلذ به الأعين هذا في جانب  
الوعد ، وفي جانب الوعيد : إذا خالف الإنسان ربه وعصاه  
وجد النار مثواه : ( **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ • كَأَنَّهُ جِبَلٌ  
صَفْرٌ** ) أعاذنا الله منها فإذا ما وضع المؤمن ذلك أمام تحركاته  
في الدنيا لا شك أنه سيسرع إلى مرضاه ربه في الدنيا ولتأمل  
مرة أخرى في بداية سورة الفاتحة : ( **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ) يفيد هذا أن الله معبود يجب أن يعبد لأنه  
رب ، ولأنه ( **رَّحْمَنٌ رَّحِيمٌ** ) • إذا لم أعبد له هذا فيجب أن  
أعبد له لأنه مالك يوم الدين ثوابا وعقابا وقبل أن نختم هذا  
الكتيب نسجل كلمة حق ونقولها شهادة صدق أمام الله  
سبحانه : أنا يا رب آمنا بعطائك • وآمنا برضاك • وآمنا  
يارب بأنك تعطي من تشاء بغير حساب : وأعظم ما تعطيه  
يا ربنا لعبادك الصالحين ( **مَعْرِفَتِكَ** ) : فآية معرفة بعد هذه  
المعرفة ؟ ونحن أمام كلمات عبد مؤمن ، لم يتلق علماً بالأزهر ،  
ولم يجلس بين يدي معلم يعلمه مما قرأنا وسنقرؤه ومما هو  
حييس حقائب كثيرة لا يعلم ما بها من علم إلا الله وحده

الذي وهب شيخنا الجليل الراحل هذه العبارات المضيئة وهذه  
الإشراقات الربانية ، نقول ذلك والله لا تعصباً لشخص .  
فنحن كلنا نحب الصالحين جميعاً . وكما علمنا رحمه الله كان  
دائماً يقول لنا . نحن نتقرب إلى الله بالدعاء لهم في اليوم  
١٧ ( سبع عشرة ) مرة في فاتحة الكتاب ( اهْدِنَا الصِّرَاطَ  
الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ) فرحم الله شيخنا  
ونفعنا بعلمه وجمعنا على كتاب الله وسنة حبيبته المختار صلى  
الله عليه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين .

أيها الإخوة الأحباب

إن كنا قد تعرضنا لشيخنا والصالحين من عباد الله بكلمة مدح  
، فهذا أقل ما يجب علينا نحو قوم أحبهم الله ويحبونه ،  
ورضي ربهم عنهم ، ورضوا عنه . رضوا به رباً ودوداً  
شكوراً ، رضوا به سبحانه رباً حليماً كريماً ، رضوا به  
سبحانه هادياً ونصيراً ، ولذلك لا عجب أن يبين الله لنا أنهم  
أهل خشيته فقال فيهم ، وقوله الحق الخلد ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ  
مَنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) لهذا ولغيره من ألوان المحبة والإخلاص  
لهم تلاحم الشعر مع التثر ، وظهر هذا في أبيات أخ محب

عاشق ما إن راجع الكتيب قبل طبعة حتى انسابت أبياته الرقيقة  
 التي أستولت على مشاعرنا عقب قراءتها ، ودفعتنا عذوبه  
 كلماتها وانسجام معانيها إلى أن نفسح لها سطوراً بين هذه  
 الصفحات الجليلة لينضم الجميع وليردد هذه الكلمات الخالدة .  
 لا إله إلا الله ، عليها نحياء ، وعليها نموت ، وعليها نلتقي  
 إن شاء الله وإلى سيادتكم هذه الأبيات الرقيقة بعد الحاح منا  
 على نشرها . خشية إنتقاص الثواب .

بِسْمِ اللَّهِ أَفْتَحُ الْكِتَابَ  
 وَمَاهِرُ شَيْخُنَا مِنَّا اضْطَفَاهُ  
 دَعَانِي لِلْقَاءِ أَخٍ مُّحِبِّ  
 إِلَى شَيْخٍ وَجَدْنَاهُ خَيْرًا  
 وَهَلْ يَخْفَى مُرِيدٌ عَنْ مُرَادٍ  
 جَرَاحَاتِ الْقُلُوبِ لَهَا التَّنَامُ  
 وَمَاهِرُ شَيْخُنَا فِيهِ اضْطَفَاءُ  
 لَهُ سَمَتْ أَرَى فِيهِ (بِلَالًا)  
 وَعِلْمُ نَفْسِهِ وَالْعِلْمُ فِيهِ  
 يُغْذِينَا بِرَائِعَةِ الْمَعَانِي  
 وَبَعْدَ مُحَمَّدٍ لَا وَحْيٍ لَكِنْ  
 قُتُوحَاتُ الْوَلِيِّ لَهَا مَجَالٌ  
 أَحَادِيثُ سَمِعْنَاهَا شَفَاهَا  
 فَيَا لَيْتَ الْجَنَانُ تَكُونُ فِيهَا

وَفَتْحُ اللَّهِ يُؤَلِّينِي صَوَابَهُ  
 وَكَمْ يَمَمَّتْ فِي شَفَفِ رَحَابِهِ  
 أَوَامِرُ مِثْلِهِ عِنْدِي مُجَابَهُ  
 بِنُورِ الْعِلْمِ تَعْلُوهُ الْمَهَابَهُ  
 يَبْصُرُهُ طَرِيقًا لِلْإِنَابَةِ ؟  
 إِذَا مَا كَانَ فِي الْقَلْبِ اسْتِجَابَهُ  
 عَلَى نَهْجِ الرُّسُولِ نَوْمٌ بِابِهِ  
 وَلِهَجَّتْهُ كَمَعْسُولِ الصَّبَابَةِ  
 لَدُنِّي كَمَا تُرْجِي السَّحَابَهُ  
 وَقَبْلَ سَوَالِهِ نَلْقَى الْإِجَابَةَ  
 مَذَاقَاتُ لِمَنْ يُسْقَى شَرَابَهُ  
 قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى فَنِّ الرِّتَابَةِ  
 وَهَذِي الْكُتُبُ قَدْ صَانَتْ خُطَابَهُ  
 وَتَنَعَّمَ بِالنَّبِيِّ وَبِالصَّحَابَةِ

عاصم عطابا